مجلة المفكر
EISSN 2661-7498
ISSN :2543-3830

المجلد السادس / العدد: الثاني
(جمادى الأولى 1444هـ/ ديسمبر 2022م)، ص 107– 123

الموروث الثقافي ودوره في الحفاظ على الهوية الثقافية الجزائرية

Cultural heritage and its role in preserving the Algerian cultural identity

د. ذهبية سيد علي Dahbia Sid Ali

أستاذة محاضرة أ جامعة مولود معمري – تيزي وزو –

dahbisidali@yahoo.fr

مخبر الدراسات في المالية الإسلامية والتنمية المستدامة ، المركز الجامعي مرسلي عبد الله – تيبازة –

المؤلف المرسل: **د. ذهبية سيد علي** الإيميل: dahbisidali@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 13 /2022/05 تاريخ القبول: 19 /2022/09

ملخص:

يقدم موضوع الموروث الثقافي الصورة الشاملة عن هوية شعب من الشعوب؛ وعندما نتناول الموروث الثقافي لبلد ما فإننا بطريقة أخرى نحاول أن نعطي صورة عن الهُوية الثقافية له إذ تشكل كيانا ذو صيرورة مستمرة، حيث أنها تصير وتتطور إما في اتجاه الانكماش، أو في اتجاه الانتشار، ويتم إثراءها بتجارب وخبرات أهلها في كل المجالات ، وكذلك باحتكاكها سلبا وإيجابا مع الهويات الثقافية الأخرى. من هنا ارتأينا أن يتناول بحثنا موضوع الموروث الثقافي ودوره في الحفاظ على الهوية الثقافية الجزائرية، حيث يهدف البحث إلى إبراز أهمية الموروث الثقافي في المجتمع من خلال تعزيز ميكانزمات الحفاظ على هويته الثقافية، وما أثارها في سبيل بناء أو هدم حضارته؟ولكون الإنسان عبر مسيرته التاريخية يحاول الارتقاء الذي ينعكس على ما يخلفه من سلوكيات تتأصل في حياة الناس؛ خاصة وأننا أمام تحديات العولمة التي تسعى إلى محو الخصوصيات السسوسيوثقافية للمجتمع الجزائري وما هي الآفاق المستقبلية للاستثمار في هذا الموروث في سبيل خدمة المجتمع ظل هذه التحديات.

الكلمات المفتاحية: موروث ثقافي، هوية ثقافية ، حضارة انسانية.

Abstract:

The topic of cultural heritage provides a comprehensive picture of the identity of a people. When we address the cultural heritage of a country, we try in another way to give a picture of its cultural identity, as it constitutes an entity with a continuous process, as it becomes and develops either in the direction of contraction, or in the direction of spread, and is enriched by the experiences and expertise of its people in all fields, as well as by its negative contact and positively with other cultural identities. From here, we decided that our research should address the issue of cultural heritage and its role in preserving the Algerian cultural identity. The research aims to highlight the importance of cultural heritage in society by strengthening the mechanisms of preserving its cultural identity, and what raised it in order to build or destroy its civilization? He tries to rise, which is reflected in the behaviors that he leaves behind, which are rooted in people's lives; Especially since we are faced with the challenges of globalization that seeks to erase the sociocultural peculiarities of Algerian society, and what are the future prospects for investing in this heritage in order to serve society in light of these challenges.

Keywords : Cultural heritage, cultural identity, human civilization.

1. مقدمة:

يبين الموروث الثقافي الجانب التعبيري الثقافي والجانب المعيشي للشعوب والمجموعات والأفراد سواء في العصور الحديثة أو القديمة أو المتوسطة، ويشمل هذا الموروث المعارف والإبداعات والقيم الحضرية والثقافية وطبيعة العلاقات ما بين الأفراد الناشرين للتراث الشعبي وبين المنتجين للتراث، ويعتبر الابتكار عنصر مهم في الموروث الثقافي وقد أجمع الباحثين على أن الابتكار هو من خلق وأوجد التراث سواء المادي أم الثقافي لمساعدته الدائمة على التطور وبقاء الثقافات، والحفاظ على الهوية الثقافية التي تميز بلد من البلدان، حيث يقف على أساسها درجة الرقي الحضاري إذ تشكل الهوية الثقافية ذاكرة الشعوب ومرآتها عند الأمم.

ومن هذا المنطلق تتجلى معالم إشكالية هذه الورقة البحثية حول الموروث الثقافي ودوره في الحفاظ على الهوية الثقافية الجزائرية.

وللإجابة على هذه الإشكالية تم طرح التساؤلات التالية:

. ما مفهوم الموروث الثقافي؟

. ما مفهوم الهوية الثقافية وفي ما تتمثل أهميتها؟

. في ما يتمثل دور الموروث الثقافي للحفاظ على الهوية الثقافية الجزائرية ؟

ولمعالجة هذا الموضوع تم تقسيم هذه الدراسة إلى ثلاثة محاور تمثلت في:

المحور الأول: مفهوم الموروث الثقافي ،عناصره و أهميته.

المحور الثاني: الهوية الثقافية ومقوماتها.

المحور الثالث: دور الموروث الثقافي في ترسيخ الهوية الثقافية الجزائرية.

- **أهمية الدراسة**

تبرز أهمية الدراسة الحالية من أهمية للموضوع الذي تعالجه ؛ حيث يعتبر موضوع الموروث الثقافي في غاية الأهمية بالنسبة لكل مجتمع يطمح لتحقيق الرقي الحضاري وتماسك النسيج الاجتماعي ، حيث أن المجتمعات تعتمد بالدرجة الأولى على كل ميكانيزمات الحفاظ على هويتها الثقافية باعتبارها ذاكرة الشعوب ، فالموروث الثقافي يقوم على المعارف والمهارات الفنية التي انتقلت إلى المجتمع من جيل إلى آخر ، كما أن الموروث الثقافي يعتبر نقطة مرجعية ديناميكية وأداة ايجابية للحفاظ على الهوية الثقافية لأي مجتمع كان فالمجتمع بلا موروث هو مجتمع دون تاريخ لأن الموروث الثقافي جزء من ماضيه فلا بد من ضمان استمراريته وبقائه في سبيل الحفاظ على الهوية الثقافية .

- **أهداف الدراسة:**

نسعى من خلال هذه الورقة البحثية إلى تحقيق الأهداف التالية:

. إبراز دور الموروث الثقافي في المجتمع .

. تسليط الضوء في هذا البحث على جانب قد لم ينتبه إليه الباحثين في مجال الموروث الثقافي للمجتمع وهو أهمية هذا الموروث الثقافي في الحفاظ على الهوية الثقافية له، أضف إلى دعم هذا المجال بمعلومات تفيد من يبحث في مثل هذه المواضيع.

. لفت انتباه القائمين على شؤون المجتمع على ضرورة الاهتمام بالموروث الثقافي باعتباره أهم محددات الهوية الثقافية في المجتمعات والتي تعتبر كسلاح في مواجهة الأخطار التي تهدد الأمة وتدافع عن كيانها من الانحلال والتفكك .

2. مفهوم الموروث الثقافي ،عناصره وأهميته:

1.2 مفهوم الموروث الثقافي:

يشكل الموروث الثقافي حصيلة خبرات أسلافنا الفكرية والاجتماعية والمادية، أي أنه الموروث الثقافي والاجتماعي والمادي، المكتوب والشفوي، الرسمي والشعبي، اللغوي وغير اللغوي، الذي وصل إلينا من الماضي البعيد والقريب، موجود في ذاكرتنا، يعيش معنا، وهو يتجسد في تصرفاتنا وتعبيرنا وطرائق تفكيرنا خلال حياتنا اليومية ومهما حاولنا القطيعة معه، أو إعلان موته نظريا أو شعوريا، تظل أنساقه وأنماطه مرشحة في الوجدان ومتمركزة في المخيلة[1] حيث يضم تلك الأشكال والعناصر الثقافية المادية والفكرية والاجتماعية، التي كانت سائدة في المجتمع في وقت ما، ثم طرأ على هذا المجتمع تغير، إذ انتقل من أوضاع إلى أوضاع أكثر حداثة، ولكنها الأشكال الثقافية لا تزال مستمرة في هذا المجتمع، متداولة بين أفراده، يحافظ عليها ويتمسك بها وهذه الاستمرارية لعناصر الموروث الثقافي بين الأجيال تحمل معها عصارات فكر أجيال متعاقبة من التواصل الحضاري تربط السابق باللاحق.

2.2 عناصر الموروث الثقافي:

يمكننا حصر الموروث الثقافي في ثلاث عناصر وهي كالتالي:

أ . الموروث الفكري:

يتمثل الموروث الفكري في تلك الآثار المكتوبة الموروثة لا يعني أنه نتاج الماضي فقط، لأنه ليس هناك حدود معينة لتاريخ أي موروث كان، فكل ما خلفه مؤلف من انتاج فكري بعد حياته يعد تراثا فكريا [2] ويرتبط الموروث الفكري بالإنتاج الأدبي والفكري والعلمي الذي خلفه لنا علماؤنا ومفكرونا سالفا قبل عصر النهضة، بل إن مجدي وهبه قد حصر التراث عامة في ما خلفه السلف من آثار علمية وفنية وأدبية تعد خير شاهد على النمو الفكري الذي عرفه أسلافنا وجسدوه في تلك الأعداد الهائلة من الأبحاث والرسائل والكتب التي ألفوها[3] فحفظها التاريخ وشكلت جزء من آثار الحضارة الإنسانية.

مجلة المفكر
EISSN 2661-7498
ISSN :2543-3830
المجلد السادس / العدد: الثاني
(جمادى الأولى 1444هـ/ ديسمبر 2022م)، ص 107– 123

وإذا حاولنا الاطلاع على الإنتاج الفكري لعلمائنا في القرون السابقة وجدناه إنتاجا هائلا كما وكيفا .وهذا يشير إلى عظمة رجالها كونهم عاشوا في زمن الصفاء الذهني، فليس هناك ما يشغلهم سوى التفكير والتأليف حيث كان العالم منهم أشبه بموسوعة تضم أكثر من تخصص في فروع العلم وكانوا يكتبون مؤلفاتهم بأسلوب تعليمي رائع، وهذه الانجازات العلمية كانت تدفع بهم إلى قطع مسافات كبيرة جسدتها تلك الرحلات العلمية الشاقة التي كانوا يقومون بها؛ حتى أن العالم منهم من كان يقطع آلاف الأميال من أجل أن يلقى عالما أو يحقق مسألة علمية أو يطلع على كتاب أو يحصل على مخطوط نادر[4] رغم الظروف الصعبة التي كانت تعترض طريقه من جوع وسوء الأحوال الطبيعية ...الخ وهذا الكم الهائل من التراث موجود في المكتبات والمخازن والمساجد والدور الخاصة، ولكن للأسف ليس هناك إقبالا جادا لإحيائه وبعثه رغم أهميته. إنه تراث لا يزال بحاجة إلى علماء ودارسين يهتمون به تحقيقا ونشرا ودراسة، خاصة وأن العديد من هذه الكتب قد ضاعت، أو أنها تشتغل مكانا بين رفوف يكسوها الغبار، لأن هذا النوع من التراث على الرغم من مرور قرون وقرون عليه إلا أنه لا يزال يحمل في طياته فوائد عدة فالتراث" ليس قضية دراسة للماضي العتيق فحسب،أو الذي طواه النسيان ولا يزار إلا في المتاحف، ولا ينقب عنه إلا علماء الآثار بل هو أيضا جزء من الواقع ومكوناته النفسية حيث أنه مازال التراث القديم بأفكاره وتصوراته ومثله موجها لسلوك الجماهير في حياتهم اليومية[5] .

ب . الموروث الاجتماعي: ويقصد به تلك السلوكيات والأفكار والمعتقدات التي مارسها أجدادنا وانتقلت إلينا، وهي تنحصر في ثلاث نقاط:

–المعتقدات.

–العادات والتقاليد الاجتماعية.

–الفنون الشعبية.

- **المعتقدات**: هي كل ما يؤمن به الشعب فيما يتعلق بالعالم الخارجي والعالم فوق الطبيعي، وتتميز هذه المعتقدات بخصائص مميزة منها أنها ميدان أكثر من أي ميدان آخر من ميادين

التراث الشعبي ما يعرف بالأفكار أو المواقف الإنسانية العامة، كما أنها تهتم بالبحث عن تصورات الناس عن بعض الظواهر الطبيعية والنفسية من خلال هذا التعريف يتبين لنا أن المعتقدات مرتبطة بأفكار الناس حول الكون وما وراء الطبيعة، فالمعتقدات ما هي إلا محاولة تفسير عقلية الإنسان للأمور الخفية.

ومن أهم الموضوعات المرتبطة بالمعتقدات الشعبية نذكر الأولياء والكائنات الحية فوق الطبيعة، والسحر، والطب الشعبي والأحلام، وحول الحيوان، وحول الجسم الإنساني، والأعداد والألوان والروح، والطهارة، والنظرة إلى العالم وغيرها وهذه المعتقدات تعمل على إشباع رغبات المجتمع، مما جعلها ذات أثر فعال في تكوين عقلية الأفراد والجماعة وانتقالها من جيل إلى جيل بما يحفظ لها الاستمرار والبقاء على مر العصور.

- **العادات والتقاليد الاجتماعية:**

تمثل العادات والتقاليد الاجتماعية دستور الأمة غير مكتوب وتتمثل في لغة الأنماط الرمزية المعبرة عن أفكار الفرد وأنواع السلوك كآداب المائدة وأزياء و أسلوب الحديث وطرق التحية والاستقبال والتوديع والتهنئة.[6] و ترتبط العادات والتقاليد الاجتماعية بسلوك الإنسان اليومي مع نفسه، وعلاقته بالآخر، وتكون مقدسة بالنسبة للمجتمع الذي يستمد قوته استنادا إليها ، يخضع لها كل أفراده ويمارسونها بطريقة عفوية دون أن يجدوا لذلك مبررا أو سببا[7]والأمر الذي أكسبها قيمة هو ذلك الامتثال الجماعي والقبول والمرافقة الجماعية التي قد تصل في بعض الأحيان إلى الطاعة المطلقة. والامتثال الجماعي للعادات والتقاليد يدل على وحدة هذا المجتمع وارتباط أفراده، ليكون بمثابة عضوا واحدا وتنحصر العادات والتقاليد كما حددها عبد الحميد بورايو في النقاط التالية:

1-دورة الحياة: والمتمثلة في كل من الميلاد، الختان، الزواج، والوفاة.

2-الأعياد والمناسبات المرتبطة بدورة العام: والمتمثلة في كل من الأعياد الدينية، الأعياد الوطنية، والاحتفالات المناسبات الزراعية.

3–المعاملات الاجتماعية بين أفراد الجماعة: كالاستقبال، التوديع، الضيافة، علاقة الصغير بالكبير، علاقة الغني بالفقير، علاقة الذكر بالأنثى، العلاقة بالغريب، آداب المائدة، فض المنازعات والتحكيم[8] وهذا النوع من التراث هو تراث معنوي محفوظ في الذاكرة، متناقل من أذهان أجدادنا إلى أذهان أحفادنا عن طريق الممارسة، وبما أنه كذلك تراث معنوي فإنه مهدد بالضياع والاندثار في أي وقت إن لم تعتن به الأمة وتصونه وتلقنه لأحفادها جيلا بعد جيل.

- **الموروثات الشفوية:**

ترتبط هذه الفنون بما أنتجته الذاكرة الجماعية حين عبرت عن آلامها وهمومها في أشكال عدة من قصص وأمثال وحكايات، فكانت هذه الفنون بمثابة المخزون الثقافي المتواجد في أذهان الأجداد والملقن للأحفاد، ويقدم عبد الحميد بورايو قائمة للفنون الشعبية والموروثات الشفوية نلخصها في النقاط التالية:

1– القصص الشعبية : كقصص البطولة ، قصص المقاومين والثوار، قصص الأولياء والتي تكشف عن بعض الجوانب الخفية لشخصيات معينة كما تساعد على ظهور مواقف جديدة.[9]

2–الأساطير.

3–الأغاني بأنواعها.

4–الأغاني الشعبية و التي تشترك مع غيرها من ألوان الفنون الشعبية كالموسيقى الشعبية، الرقص الشعبي و الألعاب الشعبية.[10]

5–الأمثال والحكم والأقوال السائرة والألغاز والنداءات والنوادر[11] والتي تعبر عن رأي شخصي أو اجتماعي يشيع بين أفراد المجتمع كافة [12]. إلى جانب اللهجات التي تعد وعاء لنقل الموروثات من جهة، كما أنها تمثل هوية ذلك المجتمع وأصالته أحد أجزاء أو نظم الثقافة يتحدد بها الانتماء الإقليمي للإنسان فسكان المجتمع الواحد يتكلمون لغة واحدة وإن كان هناك تباين فإنه يكمن في اللهجة إلى الانتماء الجغرافي للإنسان، فهي تمثل تراثه الموروث عن أجداده، والذي لا يستطيع الانسلاخ عنه، لأن اللهجة أحد العناصر الأساسية للموروث. وليست فقط وسيلة لنقل عناصر الموروث الثقافي، أو وعاء

تخزن بداخله الأمة تراثها لأن تراثنا الثقافي إذا كان يتجسد في المعاملات والعادات والتقاليد والأفكار والسلوك فهو يتجسد كذلك في اللهجات.

ج. الموروث الثقافي المادي والفنون الشعبية:

تشكل تجهيز ثقافي يعبر عن التغيرات التي يحدثها البشر في توفقهم وسيطرتهم على حياتهم الاجتماعية[13] يقصد بالموروثات الثقافية المادية تلك التقنيات والمهارات التي انتقلت عبر الأجيال كبناء البيوت وصناعة الملابس، وإعداد الطعام وفلاحة الأرض وصيد الأسماك وغيرها وهي تنقل لنا بذلك ثقافة عريقة تحمل في طياتها بعدا تراثيا أصيلا، كما أنها تمثل عصرها بشكل أو بآخر، وهذه الموروثات مردها إلى أفكار نابعة من عقول أجدادنا وأسلافنا، ولعل الدافع إلى هذا هو تحسين الوضع المعيشي[14] ولقد حاول علماء الأنثروبولوجيا تحديد العناصر الجزئية التي يندرج ضمنها هذا الموروث في ما يلي:

–الآلات الموسيقية: كآلات النفخ، الآلات الوترية وآلات الإيقاع.

–الألعاب الشعبية: كالكرة، الفروسية والبارود.

–فنون التشكيل الشعبي: كالأشغال اليدوية المختلفة، الأزياء، التطوير، صناعة الحلي، النسيج، فن العمارة الشعبية، الرسوم الحجرية والرملية والجدارية.

–أدوات العمل الزراعي.

. الأدوات المنزلية.

–الحرف والصناعات الشعبية : والتي تعكس الخصوصية الحضارية المستوحاة من طرف المجتمع الذي ينتمي اليها الحرفي، حيث أنها تعبر عن ثقافة الأمة كما أنها النافذة التي يمكن الاطلال منها لمعرفة الأصول.[15] صناعة الزرابي، صناعة الفخار، صناعة الحلفاء. [16]

وإذا تأملنا هذه العناصر وجدناها موروثات ثقافية مادية ثابتة كالبيوت، وفن العمارة وتقابلها موروثات ثقافية مادية متحركة كالحرف والصناعات الشعبية والأشغال اليدوية. ونشير إلى أنه غالبا ما يرتبط الموروث الثقافي المادي بالموروث الثقافي الاجتماعي ومن أمثلة ذلك اللباس والطعام فبالنسبة للأزياء اقتصر حاليا على مناسبات محدودة كالأفراح التي تفرض على العروس ارتدائها ما عدا بعض المناطق التي لازالت المرأة تحافظ على ارتداء اللباس التقليدي يوميا كالمرأة الشاوية والقبائلية، النايلية في المداشر والقرى والخيام.[17] ، وبالتالي هي أشياء ملموسة تندرج ضمن الموروث الثقافي المادي، إلا أن

مجلة المفكر
EISSN 2661-7498
ISSN :2543-3830
المجلد السادس / العدد: الثاني
(جمادى الأولى 1444هـ/ ديسمبر 2022م)، ص 107– 123

ارتباطها بسلوك الإنسان اليومي جعلها ذات علاقة بالموروث الثقافي الاجتماعي. وإذا لاحظنا هذه العناصر الثلاثة موروث ثقافي فكري، موروث ثقافي اجتماعي وموروث ثقافي مادي وجدنا طغيان الموروث الشعبي، إذ يشغل مساحة كبيرة من فحوى الموروث الثقافي حيث أنه يعتبر مكونا أساسيا للثقافة، عكس لنا ثقافة الأسلاف والأجداد التي تعد بمثابة البنيان الأصيل الذي لا يهتز بل إنه جزء من الثقافة، ولكن لماذا يحتل الموروث الشعبي حصة كبيرة من الموروث الثقافي مقارنة بالموروثات الأخرى ؟ يجيب عثمان حشلاف فيقول وربما يعود السبب في ذلك إلى أن جانبا من هذا التراث الشعبي أكثر خصوصية لارتباطه باللهجات المحلية للشعوب، وبالإقليمية الخاصة بكل منطقة، ولأنه لا يخلو من جذور موغلة في التاريخ القديم لهذه الشعوب وكل هذه الموروثات التي تندرج ضمن الموروث الثقافي لا بد علينا أن نحافظ عليها ونستثمر فيها ونعزز دورها في سبيل الحفاظ على المجتمع من خلال الحفاظ على هويتنا الثقافية التي تبني الحضارة وترقى بها .

2 . 3 . أهمية الموروث الثقافي: تتمثل أهمية الموروث الثقافي في ما يلي:

. للموروث الثقافي أهمية كبيرة في حياة الأمم والشعوب.

. يمثل الموروث الثقافي البعد الذي يميز بين أفراد المجتمع.

. يعبر الموروث الثقافي عن تاريخ أي مجتمع ، وذلك بتجسيد وترسيخ الهوية الثقافية له.

. يعتبر الموروث الثقافي وسيلة من وسائل تشكيل الفكر والعقل والثقافة.

. يشكل الموروث الثقافي الأساس التاريخي للشعوب المتمسكة بتراثها وبالركب الحضاري في نفس الوقت مع الالتزام بالتكوين التراثي والتاريخي وبعاداته الأصلية من الأجداد والآباء.

وكما أن لكل مجتمع أي كان له هويته استنادا إلى موروثه الثقافي، سواء كان مادي أو معنوي، حيث يشكل أداة رئيسية تكشف عن خصوصيته حيث يعتبر السجل الحقيقي لمختلف جوانبه الاجتماعية والفكرية والثقافية.

والجزائر من بين الدول التي تسعى جاهدة إلى الحفاظ على موروثها الثقافي وإحيائه وإعادة بعثه مجددا خاصة في ظل تحديات الوقت الراهن التي أصبحت تشكل خطرا يهدد كيانها، فأدركت أهمية الاستثمار في موروثها الثقافي خدمة لها وللأجيال القادمة وذلك بتخصيص ميزانية معتبرة من خلال برامج

ثقافية تشيد بضرورة إقامة تظاهرات ثقافية في عدة مناسبات في سبيل إحياء الموروث الثقافي وممارسة حق التذكير بأصل حتى لا تنغمس هوية مجتمعنا وتنصهر في ثقافات دخيلة ، كما قامت بفتح ورشات تشجيع من خلالها الصناعات التقليدية كصناعة الفخار، النحاس، الجلد.

فالجزائر قامت بمجهودات معتبرة لتجنب محو تراثها الثقافي وبالتالي استثمرت فيه لصالحها ولصالح شعبها الأصيل مما ساعد في تنمية الاقتصاد المحلي والوطني حتى ولو بنسبة قليلة[18]

3. الهوية الثقافية ومقوماتها:

1.3 مفهوم الهوية الثقافية:

الثقافة هي التي تشكل الهوية وهي التي تعطي الاسم والمعنى والصورة، أي هي التي تجعل جماعة متميزة عن الأخرى[19]. وعليه فغن الهوية الثقافية هي كل ما يميز أمة عن امة أخرى بكل ما تحمله من قيم وعادات وسلوكيات.[20]

تشكل الهُوية الثقافية كيانا ذو صيرورة متطورة، حيث أنها تصير وتتطور إما في اتجاه الانكماش، أو في اتجاه الانتشار، ويتم إثراءها بتجارب أهلها ومعاناتهم، انتصاراتهم وتطلعاتهم، وأيضا باحتكاكها سلبا وإيجابا مع الهويات الثقافية الأخرى، فالهُوية الثقافية بمثابة ملكية أساسية لازمة للجماعة لأن هذه الجماعة تقوم بنقلها عبر أفرادها وإليهم دون الرجوع إلى الجماعات الأخرى، ويكون اكتساب الهُوية بمثابة تحصيل حاصل؛ لأن الأمر يبدأ به والذي يتعلق بتحديد الهُوية والقيام بوصفها انطلاقاً مما هو مشترك (الوراثة) واللغة والثقافة والدين وعلم النفس الجماعي(الشخصية الأساسية) والارتباط بأرض معينة...الخ، كما أن الجماعة التي تفتقر إلى لغة خاصة بها أو إلى ثقافة أو أرض تختص بها، أي كما يقول البعض، الجماعة التي لا تملك نمطاً ظاهرياً خاصاً بها والمتمثل في الموروث الثقافي لا يمكنها أن تكون جماعة عرقية-ثقافية ولا يمكنها المطالبة بهوية ثقافية أصيلة. ويقوم المجتمع بتعزيز هويته الثقافية من خلال القدرة على الاستمرار والتجدد الدائم والحوار النقدي الايجابي مع المتغيّرات الجديدة ومع الثقافات الأخرى، لأن الهوية بغير ذلك مجرّد ذكرى، ولأن الثقافة التي لا تحاور وتتجدد وتتغيّر هي ثقافة خالية من الإبداع، وميتة لا محالة.

مجلة المفكر
EISSN 2661-7498
ISSN :2543-3830
المجلد السادس / العدد: الثاني
(جمادى الأولى 1444هـ/ ديسمبر 2022م)، ص 107– 123

2.3 مقومات الهوية الثقافية: و تتمثل في:

أ– اللغة الوطنية واللهجات المحلية: وهي تلك المرتبطة بوجود شعب ما وتطوره ومصيره على أساس أن تكون اللغة الوطنية معتمدة في التدريس على جميع المستويات، وفي التسيير الإداري، وفي القضاء، إضافة إلى التواصل بين شرائح المجتمع إلى جانب اللهجات المحلية.

ب– القيم الدينية والوطنية المتكونة عبر العصور: والتي تكسب الشعب حامل الهوية حصانة تحول دون ذوبانه في شعوب أخرى، وتؤهله لمقاومة كل محاولات التذويب مهما كان مصدرها.

ج– العادات والتقاليد والأعراف النابعة من تلك القيم والحاملة لها والعاكسة لمستوى الشعب حامل الهوية الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والسياسي.

د– التاريخ النضالي الذي ينسجه ذلك الشعب حامل الهوية من أجل المحافظة على هويته أرضا وقيما، وعادات وتقاليد وأعرافا.[21]

2–3– مستويات الهوية الثقافية عند عابد الجابري:

يحدد محمد عابد الجابري مستويات الهوية الثقافية في فردية، وجمعية، ووطنية قومية تتحدد العلاقة بين هذه المستويات الثلاثة أساسا بنوع الآخر الذي تواجهه. ويضيف أنها تتحرك على ثلاثة دوائر متداخلة ذات مركز واحد كما يلي:

فالفرد داخل الجماعة الواحدة، قبيلة كانت أو طائفة أو جماعة مدنية (حزبا أو نقابة الخ...)، هو عبارة عن هوية متميزة ومستقلة، عبارة عن "أنا"، لها "آخر" داخل الجماعة نفسها: "أنا" تضع نفسها في مركز الدائرة عندما تكون في مواجهة مع هذا النوع من "الآخر".

والجماعات، داخل الأمة، هي كالأفراد داخل الجماعة، لكل منها ما يميزها داخل الهوية الثقافية المشتركة، ولكل منها "أنا" خاصة بها و"آخر" من خلاله وعبره تتعرف على نفسها بوصفها ليست إياه. فالعلاقة بين هذه المستويات الثلاثة تتحدد أساسا بنوع "الآخر"، بموقعه وطموحاته: فإن كان داخليا، ويقع في دائرة الجماعة، فالهوية الفردية هي التي تفرض نفسها ك "أنا"، وإن كان يقع في دائرة الأمة فالهوية الجمعية (القبلية، الطائفية، الحزبية الخ) هي التي تحل محل "الأنا" الفردي. أما إن كان "الآخر" خارجيا، أي يقع خارج الأمة (والدولة والوطن) فإن الهوية الوطنية –أو القومية– هي التي تملأ مجال "الأنا."[22]

وتجدر الإشارة إلى أن تغير الهويات ينبغي أن يخضع لقانون التوازن بين الثوابت المميزة للهوية والعناصر القابلة للتحول، وإلا كانت الهوية عرضة للخطر والتدمير، فالهوية تتضمن مكونات ثابتة وأخرى قابلة للتغيير. إذ يعتبر الدين واللغة من الثوابت الراسخة، بينما تكون المكونات الأخرى من عادات وقيم وطرق تفكير قابلة للتغيير في الشكل الإيجابي الذي تحدده حركية وديناميكية المجتمع وتفاعله بمحيطه الخارج.[23]

فالهوية

http://www.maktoobblog.com/search?s=%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%88%D9%84%D9%85%D8%A9+%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%87%D9%88%D9%8A%D8%A9+%D8%A7%D9%84%D8%AB%D9%82%D8%A7%D9%81%D9%8A%D8%A9&button=&gsearch=2&utm_source=related-search-blog-2010-04-13&utm_medium=body-click&utm_campaign=related-search الثقافية لا تكتمل ولا تبرز خصوصيتها الحضارية، ولا تغدو قادرة على نشدان العالمية، على الأخذ والعطاء، إلا إذا تجسدت مرجعيتها في كيان مشخص تتطابق فيه ثلاثة عناصر تتمثل في الوطن والأمة والدولة وذلك على النحو التالي:

أ-**الوطن:** بوصفه "الأرض أو الجغرافية والتاريخ وقد أصبحا كيانا روحيا واحدا يعمر قلب كل مواطن.

ب-**الأمة:** بوصفها النسب الروحي الذي تنسجه الثقافة المشتركة قوامها ذاكرة تاريخية، وطموحات تعبر عنها الإرادة الجماعية التي يصنعها حب الوطن.

ج-**الدولة:** بوصفها التجسيد القانوني لوحدة الوطن والأمة، والجهاز الساهر على سلامتهما ووحدتهما وحماية مصالحهما وتمثيلهما إزاء الدول الأخرى، في زمن السلم كما في زمن الحرب.

فكل مس بالوطن أو بالأمة أو بالدولة هو مس بالهوية الثقافية والعكس صحيح أيضا: كل مس بالهوية الثقافية هو في نفس الوقت مس بالوطن والأمة وتجسيدهما التاريخي.

مجلة المفكر
EISSN 2661-7498
ISSN :2543-3830
المجلد السادس / العدد: الثاني
(جمادى الأولى 1444هـ/ ديسمبر 2022م)، ص 107– 123

4. أهمية وفاعلية الموروث الثقافي في الحفاظ على الهوية الثقافية الجزائرية:

يعرفنا الموروث الثقافي بطبيعة المجتمع وبيئته ويكشف خصوصية كل أمة؛ كونه سجل حقيقي لمختلف الجوانب الاجتماعية والفكرية والثقافية، ورصيد ثقافي وأدبي الذي توارثها أبناؤه على مر العصور[23]ان الموروث الثقافي فاعل ينغرس في تربية المجتمع ويخلد مثله ومسلماته ومفاهيمه وعاداته وتقاليده وآماله وأحلامه، وينقلها بقوة وفعالية من جيل إلى آخر، فتبقى قوية وفاعلة إلى درجة أن الإنسان يعجز أحيانا عن تغيير أعمال وعادات يقوم بها من غير أن يعلم حقيقة الأسباب التاريخية التي دفعت إليها نظرا لعمق أصالته وقوته في ربط الماضي بالحاضر والمستقبل فكان بذلك ضرورة حتمية في حياة الفرد اليومية.

إن هذه الأهمية جعلت بعض الأمم التي لا تملك تراثا قديما تتحسر، والأمم التي تملك ذلك تتباهى و تفتخر، بل راحت تسعى إلى ضرورة التمسك به، والمحافظة عليه، ومحاولة إحيائه بغية اكتشاف كنوز جمة من كنهه، واستخراج قيما عدة من عناصره .الأمر الذي جعله عماد الأمة وقوامها، فهو" روحها ومقومها الأساسي، والأمم التي تتخلى عن تراثها وتهمله فإنها تتخلى عن روحها وتهدم مقوماتها، وتعيش بلا تاريخ ولعل هذا ما دفع العديد من الدارسين والمثقفين إلى وضع الموروث الثقافي نصب أعينهم، ومحاولة إحياء العناصر التي ظلت منسية، أو حاول الأعداء طمسها عن عمد وقصد في بعض أدوار التاريخ، وعن جهل وازدراء بقيمته في أدوار أخرى، من خلال الحكم عليه من منظور فكري، متعسف، بإحالته إلى شبه وثن لا قيمة له، ولا علاقة له بحاضر الأمة ومستقبلها ووحدتها.

ولعل عناية الدارسين بهذا التراث في مختلف اختصاصاتهم من مؤرخ وانثربولوجي وعالم اجتماع ودارس أدب خير دليل على قيمته وأهميته، و قد أعانهم هذا التراث على الوصول إلى معلومات قيمة ونادرة في منبعها الأصلي. وإذا شهد هذا الزمان تطورا تكنولوجيا كبيرا عمل على انسلاخ هذا الجيل عن موروث أجداده، فإن الحنين إلى التجمع حول الجدة، وسماع الحكايات في دفئ عائلي ما زال قائما ولم يعوضه تلفاز ولا كمبيوتر، لأن هذا الموروث لا يزال مخزونا في أذهان أجيالنا وهي" في لا شعوره

وذاكرته الأبدية، ولا يمكن لأحد أن يستغني عن حكاية، أو أغنية « درجة » شعبية، أو حكمة قديمة، أو مثل متوارث، فكلها متعة للنفس، وحاجة ضرورية[24] مهما كانت رفاهيته وثقافته.

إن الحفاظ على الموروث ضرورة حتمية على كل فرد أراد في أن يؤمن مستقبله، ويعيش حياته كريما، رافعا رأسه بكل فخر واعتزاز. فالتراث هو الذي يوقظ الإنسان ملكة البحث والتأمل ويدفعه إلى العمل والتغيير لأجل استكمال وجوده، فهذا الجزء يمكن أن يوصف بأنه قوة دينامية فاعلة لأنه صورة للإرادة الإنسانية النافعة في الحياة الحريصة على مستقبلها، أي أن الأمة التي ضيعت تراثها وأهملته، قد ضيعت حاضرها ومستقبلها وليس ثمة خسارة أكبر من هذه الخسارة التي لا تعوض.

وحان الوقت لتوضيح أهمية المحافظة على التراث الثقافي وتنميته وتطويره في الجزائر بشكل فعال باعتباره مكونا أساسيا ضمن الهوية الثقافية، حيث وجب على وزارة الثقافة أن تقوم بإعداد مقاربة تشاركية في شكل مخطط استراتيجي للتراث الثقافي؛ والذي يهدف إلى تحقيق مجموعة من الأهداف بشراكة مع العديد من المعاهد والفاعلين المهتمين بقضايا التراث الثقافي حيث أن الإستراتيجية الوطنية ستشكل محور ومرتكز جميع التدخلات العمومية والخاصة في مجال المحافظة على التراث الثقافي وحمايته، كما ستكون بمثابة فضاء لتنسيق مختلف جهود باقي الفاعلين والمتدخلين في هذا القطاع. كما أنه أصبح من الضروري تعزيز دور هيئات المجتمع المدني والقطاع الخاص في الجهود المبذولة لحماية هذا التراث والعمل على صياغة إستراتيجية جديدة لتنمية وتطوير التراث الثقافي بحوض البحر المتوسط.

5. الخاتمة:

يؤدي الموروث الثقافي دورا هاما في الحفاظ على الهوية الثقافية ومنه على الخصوصيات السوسيوثقافية للمجتمع بشكل عام وللجزائر بشكل خاص،ومواجهة بذلك تعتبر تحديات العولمة الثقافية التي من شأنها تهديد خصوصيتها الثقافية فالإحساس الذي لا زال متنامي لدى المجتمعات بالخطر على الوجود الذاتي لأفرادها بوصفهم ينتمون إلى الأمة كونية لحضارات متعددة هذا الوعي أخذ يولي مسألة الثقافة اهتماما يتعاظم تدريجيا فالثقافة تعتبر المكون الأساسي لوجدان أي مجتمع وتعبر عن العمق التاريخي والمتراكم في المجتمع، كما أنها تعبر عن الهوية والانتماء الوطني وبالتالي فالضرورة ملحة على التواصل الثقافي.

ومن خلال هذا العمل البحثي تم التطرق إلى ماهية الموروث الثقافي و أهم العناصر التي يتكون منها ، كما وضحنا مقومات الهوية الثقافية، كما قمنا بالتطرق إلى دور الموروث الثقافي في الحفاظ على الهوية الثقافية بصفة عامة وبالخصوص الهوية الثقافية الجزائرية.

ومن أبرز النتائج التي توصلنا إليها هو أن وجودنا الثقافي في حياتنا الاجتماعية يشكل الحصن الذي يحفظ خصوصيتنا، وهويتنا من خلال التفاعل مع المناخ الحضاري العالمي وإثبات الهوية الثقافية العربية بصفة عامة والجزائرية بصفة خاصة أمام الآخر، و لـ'طاء الموروث الثقافي أهميته المستحقة في سبيل الحفاظ على الهوية الثقافية نقترح ما يلي:

. ضرورة تحويل ثقافتنا من ثقافة استهلاكية إلى ثقافة منتجة مثلها مثل مثيلتها من الثقافات الغربية.

. الاطلاع على آليات الاستثمار في الموروث الثقافي الذي نملكه، ومعرفة أنجع الطرق لتنميته.

. خلق أدوات لتحريك وجودنا الثقافي والمحافظة على خصوصياتنا وهويتنا أمام الآخر قصد القضاء على الهيمنة الثقافية وما أفرزته العولمة.

. تحقيق وحدة الهوية الثقافية العربية بصفة عامة والجزائرية بصفة خاصة من خلال بناء نموذج ثقافي وطني قومي من جهة والانفتاح على العالم الخارجي من جهة أخرى حيث أن مواجهة العولمة يقتضي التعامل معها وليس الذوبان فيها الأمر الذي يؤدي إلى إذابة خصوصياتنا وهويتنا. فالمجتمعات الراقية تحاول أن تستثمر في موروثها الثقافي لخدمة رقيها الحضاري وذلك بتعزيز وسائل تنمينه سواء على المستوى الوطني أو الدولي.

. تظافر الجهود على مختلف الأصعدة التربوية، الاجتماعية والسياسية قصد تطوير أجندة عمل قادرة على المساهمة في المحافظة على الموروث الثقافي الذي بات أمرا حتميا على كل فرد أراد تأسيس مستقبله رافعا رأسه بكل فخر واعتزاز بالموروث الثقافي في ظل تحديات العصر الراهن من عولمة وثورة رقمية او العصر المعلوماتي.

. ضرورة الاهتمام بالهوية الثقافية للمجتمع الجزائري بهدف حماية التجانس الاجتماعي من التفكك وذلك باعتبارها مرآة كاشفة لاستقرار أي دولة كانت سياسيا أو اجتماعيا.

6. الهوامش:

1 سعيد يقطين، الرواية والتراث السردي، من أجل وعي جديد بالتراث، رؤية للنشر والتوزيع، ط1 ، القاهرة، 2006، ص 226.

2 يسمينة شرابي، الموروث الثقافي في أدب الرحلة الجزائر، نماذج من رحلات القرن العشرين، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في اللغة و الأدب العربي ، تخصص دراسات أدبية، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية والأدب العربي، 2012-2013، ص20.

3 أحمد فؤاد باشا، التراث العلمي للحضارة الإسلامية ومكانته في في تاريخ العلم والحضارة، دار المعارف، ط2 القاهرة، 1984 ، ص 36.

4- المرجع نفسه، ص37.

5 حسن حنفي، التراث والتجديد :موقفنا من التراث القديم، مكتبة الأنجلو المصرية، د ط، القاهرة، د ت، 1996، ص.13

6 حسن احمد عبد الحميد، التربية والمجتمع، دط ، مؤسسة شباب الجامعة للنشر، الإسكندرية، 2005 ، ص174.

7 طلال حرب، أولية النص نظرات في النقد والقصة والأسطورة والأدب الشعبي، المؤسسة الجامعية للدراسات .والنشر والتوزيع، ط 1، بيروت، 1999 ، ص 80

8 عبد الحميد بورايو ، في الثقافة الشعبية الجزائرية: التاريخ والقضايا والتجليات ، دار أسامة للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، د ت، ص .38

9 حسين أحمد عبد الحميد رشوان ، الأنثروبولوجيا في المجالين النظري والتطبيقي، د ط، المكتب الجامعي الحديث للنشر، الإسكندرية، 2003، ص106.

10 محمد عبد محجوب، فاتن محمد شريف، التراث الشعبي ودراسات ميدانية في مجتمعات ريفية وبدوية، ط1، دار الوفاء للنشر ، الإسكندرية ، 2007، ص50.

11 المرجع نفسه.

12 أسماء صابر تركيني ، المضامين التراثية في سفر أبي العلاء المعري، دط ، دار غيداء للنشر الأردن، عمان، 2011، ص152.

13 فاروق أحمد مصطفى، مرفت العشماوي عثمان ، التراث الشعبي، ذ ط، دار المعرفة الجامعية، الأردن، 2011، ص105.

14. عثمان حشلاف، التراث والتجديد في الشعر السياب، رسالة الماجستير، قسم الأدب العربي، تيزي وزو، 1984، ص 11.

15 شيني عبد الرحيم ، دور التسويق السياحي في انعاش السياحة التقليدية والحرفية، جامعة تلمسان، 2009-2010، ص39.

16. عبد الحميد بورايو، المرجع السابق، ص 39

17 ذهبية أيت قاسي، الثقافة الشعبية في البرامج الناطقة بالأمازيغية، مذكرة ماجستر ، جامعة وهران، 2009-2010، ص75.

18 ايمان هيتسري، الموروث الثقافي الجزائري الواقع والآفاق، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم ، العدد السابع عشر، 2017، ص ص 97-110.

19 سامية عزيز، عمر حمداوي ، دور المجتمع المدني في المحافظة على الهوية الثقافية في ظل العولمة، مجلة العلوم العلوم الإنسانية والاجتماعية ، عدد خاص بأعمال الملتقى الدولي الأول حول الهوية والمجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيوثقافية في المجتمع الجزائري، 2017، ص 213.

20 أحمد علي كنعان، الشباب الجامعي والهوية الثقافية في ظل العولمة الجديدة ، دراسة ميدانية على طلبة جامعة دمشق، عاصمة الثقافة العربية، 2008، ص420.

21 محمد الحنفي:**الهوية والعولمة**، من موقع: http://www.mokarabat.com/s797.htm

22 محمد عابد الجابري، **العولمة والهوية الثقافية عشر أطروحات**، من موقع:-http://awraq-h212010،31/04/15، com.maktoobblog.com:

23 إبراهيم القادري بوتشيش،**حول مفهوم الهوية ومكوناتها الأساسية**، من موقع http://histoire.maktoobblog.com

24. سعيدي محمد، الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، الجزائر، بن عكنون 1998،ص17.